# الدولة الإسلامية
# وقابليتها للبقاء

**محمد نور الزومان**
جامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا، الكويت

يمثِّل نهوض الدولة الإسلامية (داعش)، التي كانت تسمَّى سابقًا (الدولة الإسلامية في العراق والشام) أو الدولة الإسلامية في العراق والمشرق، أكثر من مجرد حدث ملتهب في إقليم الشرق الأوسط المضطرب تقليديًّا. وأُعلن في 29 حزيران من عام 2014م عن قيام الدولة الإسلامية، التي احتلَّت مناطق شاسعة تمتد بين شمال غربي العراق وشرق سوريا وتسيطر عليها الآن، وهي في حالة حرب ضد العالم بأسره، وألقى (خليفة) الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي أول خطاب رسمي له في اليوم نفسه، وقسم العالم كله إلى معسكرين؛ معسكر الإسلام والإيمان، ومعسكر الكفر والنفاق[1]. ووضع المسلمين والمجاهدين في المعسكر الأول، واليهود والصليبيين وحلفاءهم (يعني العرب حلفاء الأمريكيين)، وباقي الأمم (وفيهم المرتدون الشيعة في إيران وأماكن أخرى) في المعسكر الثاني.

واقترن هذا التقسيم الجديد للعالم على أسس دينية بحتة بهجمات عسكرية خاطفة وانتصارات سريعة للدولة الإسلامية على قوات الدفاع العراقية المدرَّبة والمسلَّحة أمريكيًّا، ودق نواقيس الخطر في طهران والرياض وواشنطن، وأدَّى إلى إعادة اصطفاف دبلوماسي عبر الإقليم، وتنسيق أعمال عسكرية لوقف

تقدم مقاتلي الدولة الإسلامية. ورصت المتنافستان تنافسًا مريرًا إيران والمملكة العربية السعودية صفوفهما لمواجهة تهديد الدولة الإسلامية المشترك لهما (رويترز، 2014م)، وتستأنف إيران والولايات المتحدة محادثات (أخذ ورد) بشأن القضية النووية لوضع إستراتيجية مشتركة لإيقاف الدولة الإسلامية (سي-إن-ب-سي، 2014أ)*، وقد شكَّل الرئيس أوباما تحالفًا عسكريًّا مكوَّنًا من حلفاء عرب خليجيين وبعض الدول الأوروبية؛ من أجل (إضعاف) الدولة الإسلامية وتدميرها (وول ستريت جورنال، 2014أ).

المفاجئ في الأمر هو أن الدولة الإسلامية، على الرغم من الضغوط العسكرية والعقوبات المالية المتزايدة (هفينغتون بوست، 2014أ)، تستمر في شن هجمات عسكرية شرسة للاستيلاء على مزيد من الأراضي والمراكز الحضرية، في كل من العراق وسوريا. ولكن، هل يمكن أن تنجو من ضربات جوية بقيادة الولايات المتحدة وهجمات معاكسة للجيشين العراقي والسوري (برانين، 2014م) بدعم إيراني؟ يحقِّق هذا المقال في استمرار الإمكانية العسكرية والاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية على المدى البعيد، ويستنتج أنها حقيقة واقعة و(باقية وتتمدّد)، سواء أحببنا هذا أم لا، وتسعى إضافة إلى هذا إلى وضع أساسٍ من أجل أن توسِّع تدريجيًّا حدود إقليمها لتعيد في نهاية المطاف رسم الخريطة السياسية للشرق الأوسط.

---

* تم إبرام معاهدة منع الانتشار النووي بين إيران من جهة والغرب من جهة بتاريخ 14 تموز/ يوليو/2015.

## ما الذي يفسِّر نهوض الدولة الإسلامية؟

يتفق أكاديميون وصحفيون على حد سواء في الرأي على أن اللوم يقع على حكومة نوري المالكي السابقة في نهوض الدولة الإسلامية، في حين غذت الحرب الأهلية الطائفية في سوريا العملية (فيليبس، 2014م؛ كايا أوغلو، 2014م). وكانت حكومة المالكي مثيرة للشقاق، إذ إنها لم تطبق السياسات الصحيحة لدمج الأقلِّية السنَّة في حكومته، وفشل المالكي في إحياء شعورٍ بالهوية الوطنية العراقية، وقصَّر في تقدير خطورة اندلاع نزاع مسلح واستيلاء على الأراضي من قبل الدولة الإسلامية. ولا تعدُّ السياسات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية التمييزية القائمة على الاضطهاد الطائفي شيئًا جديدًا في العراق، أو في دول عربية أخرى في الخليج فيما يخص هذه القضية (ناصر، 2007م). إذ سبق أن أثارت سياسات الراحل صدام حسين المضادة للشيعة والأكراد مقاومة لنظامه، إنما ليس على نطاق خطر كما نرى حاليًّا في العراق، ويُعرف عن نظامي البحرين والمملكة العربية السعودية السنيين سياساتهما المناهضة للشيعة أيضًا، إنما لا يوجد عنف في أسلوب الدولة الإسلامية يتكوَّن هناك.

جذبت الحرب الأهلية السورية جماعات تسمَّى معتدلة ومقاتلي القاعدة مع دعم سياسي ومالي من قوى إقليمية وعالمية لإسقاط الرئيس بشار الأسد، فأوجد ذلك بالتأكيد أوضاعًا ملائمة للجهاديين لتدريب مجنَّدين جدد وإتقانهم المهارات القتالية، ولكن حدوث انعطافة مفاجئة نحو إنشاء خلافة إسلامية من قبل الدولة الإسلامية؛ فرع القاعدة، تستفيد من حرب أهلية دموية ينطوي كما يبدو على مفارقة تاريخية، وفي الواقع توجد عوامل أخرى متأصِّلة خلف انبثاق الدولة الإسلامية.

يوجز نهوض الدولة الإسلامية العمل الطويل للحركات الإسلامية من أجل إحياء القوة والمجد الإسلاميين، اللذين فُقدا عقب تفكُّك الإمبراطورية العثمانية

بعد الحرب العالمية الأولى والإلغاء الرسمي للخلافة الإسلامية في عام 1924م، ويرى الإسلاميون مؤامرات تاريخية واتفاقات سرِّية بين قوى أوروبية، مثل اتفاقية سايكس-بيكو في أيار 1916م ووعد بلفور في تشرين الثاني سنة 1917م، للهيمنة على المسلمين وإبقائهم تحت السيطرة، وفيما يخص الأفول الحقيقي للقوة الإسلامية، كان باحثون كُثر قد حدَّدوا الانحراف عن الشريعة (القوانين القرآنية) على أنه السبب الرئيس، وأن العودة إلى الشريعة- كما يجادلون- هي الطريقة الوحيدة لإحياء الماضي المجيد، واستعادة الزعامة العالمية، وقيادة العالم، وهذا هو الافتراض الأساسي لعمليات حركات مثل الإخوان المسلمين في العالم العربي، والجماعة الإسلامية في جنوبي آسيا، والقاعدة على نطاق عالمي (أكبر زادة، 2012م). وتقوم الدولة الإسلامية بقيادة أبي بكر البغدادي، مثل شقيقها تنظيم القاعدة، على الأرضية نفسها - عودة إلى الشريعة وإعادة توطيد الإسلام على أنه قوة عالمية. وأثَّرت الفوضى في العراق بعد الغزو الأمريكي في عام 2003م، والحرب الطائفية السنِّية-الشيعية الضروس، وسياسات حكومة المالكي المضادة للسنَّة، والحرب الأهلية السورية، بصور أسهمت في بروز ما يدعى الآن الدولة الإسلامية.

في خطابه الأول في المسجد الكبير في الموصل بعد إعلان قيام الدولة الإسلامية، أكَّد البغدادي الحاجةَ إلى تطبيق الشريعة، وقال تحديدًا: «إنشاء الخلافة واجبٌ، ولا يمكن أن يستقيم الدين إلا بتطبيق الشريعة». (الجزيرة، 2014أ). ويدل تقسيمه العالمَ (المذكور آنفًا في القسم التمهيدي) إلى معسكرين متضادين من المسلمين وغير المسلمين، على معركة بينهما، التي يبدو أنها تستعر في العراق وسوريا حاليًّا، وأنهى خطابه بدعوة واضحة للمسلمين كلهم للاتحاد تحت راية الدولة الإسلامية، فلقيت دعوة وحدة المسلمين وتأييد الدولة الإسلامية إدانات عالمية، ووابلًا من الضربات الجوية من قبل الولايات المتحدة وحلفائها، وعمليات عسكرية برِّية للقضاء على دولة البغدادي الإسلامية.

كانت سيطرة الدولة الإسلامية السريعة على أراضٍ في العراق قد منحتها فرصة لا مثيل لها لإعلان نفسها دولة، إنها- على كل حال- ليست دولة كما يُفهم في المصطلح السياسي الغربي - دولة تتمتع بالعناصر الرئيسة الأربعة المتمثِّلة في الأرض، والسكان، والحكومة، والسيادة. ويقوم نظام ويستفاليا للدول الذي يعود تاريخه إلى 1648م، على مبادئ الاستقلال والسيادة لشعب على إقليم محدَّد، لكن الدولة الإسلامية القائمة على فكرة الخلافة (نظام سياسي إسلامي) لا تلائم هذا التصنيف؛ ففي ظل الخلافة، المسلمون كلهم أعضاء في مجتمع واحد من المؤمنين يدعى أمَّة، ويتشاطرون شعورًا مشتركًا من التضامن يسمَّى عصبية، ويحكمهم خليفة واحد. وتفتقر الدولة الإسلامية حاليًّا إلى هذه الصفات الثلاث كلها، على الرغم من أنها تطمح إلى إنشاء خلافة في النهاية.

يقدم أول عدد من دابق؛ الناطق الرسمي باسم الدولة الإسلامية، المذكورة آنفًا، قصة غلاف بعنوان عودة الخلافة، ويعلن أن «الوقت قد حان لتستيقظ أمَّة محمد (صلى الله عليه وسلم) من سباتها، وتنزع عنها ثوب العار، وتنفض غبار الإذلال والخزي؛ لأن حقبة الرثاء والأنين قد ولَّت، وفجر الشرف قد بزغ من جديد». (الصفحة 7). لقيت هذه الدعوة أصداء جيدة لدى مشاعر وطموحات كثير من الشباب المسلمين في العالم الذين يحتشدون للانضمام إلى مقاتلي الدولة الإسلامية، وهذه هي- بأي حال- المرة الثانية التي يُعلن فيها عن خلافة بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية في سنة 1924م؛ فقد أعلن الشريف حسين بن علي من مكَّة المكرَّمة، المنحدر من نسب النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، نفسه خليفة للمسلمين كلهم، وهُزم لاحقًا من قبل الملك عبد العزيز آل سعود، الذي سيطر على معظم شبه الجزيرة العربية، وأسَّس المملكة العربية السعودية في عام 1932م.

قد يُنظر إلى دولة البغدادي الإسلامية على أنها دولة أمر واقع في أفضل حال، تسيطر على أراضٍ من محافظة الرقة السورية، إلى الموصل في شمال العراق، إلى الفلوجة و(أبو غريب) في وسط العراق؛ منطقة تعادل مساحة بلجيكا تقريبًا، ويعيش نحو ثمانية ملايين شخص في إقليم الدولة الإسلامية (بي-بي-سي، 2014أ)، التي تمتلك جيشًا صغيرًا يصل تعداده إلى (31,000) مقاتل (بي-بي-سي، 2014ب)، وتقدِّم نموذجًا مختلفًا للحكم. ليس هناك اعتراف دولي بالدولة الإسلامية، ولم تسعَ إلى مثل هذا الاعتراف. أساسًا، تبقى الدولة الإسلامية حقيقة غير مقنَّنة على الأرض، مع علامات استفهام عن استمرارها السياسي، والعسكري، والاقتصادي في المستقبل.

## القابلية للبقاء سياسيًّا

أكبر أزمة تواجه الدولة الإسلامية هي الشرعية السياسية، وكانت دعوة الخليفة البغدادي المسلمين للانضمام إلى الدولة الإسلامية وتأييدها قد فتحت عليها نيرانًا من تنظيمات جهادية عدَّة، وقد أدان زعيم القاعدة أيمن الظواهري- سابقًا- تكتيكات الدولة الإسلامية القتالية الوحشية وحربها على جماعات ثورية أخرى في سوريا. نقض الظواهري رسميًّا أيضًا بيعة الدولة الإسلامية في شباط هذا العام، لكنه لم ينتقدها علانية أو يؤيد إعلان الخلافة من قبل البغدادي. لقد رفضت الجبهة الإسلامية (تحالف واسع من جماعات ثورية تسعى إلى إسقاط حكومة بشار الأسد وإنشاء حكم إسلامي في سوريا) الإعلانَ، ووصفته بأنه مثير للشقاق، ويفتقر إلى أي شرعية (الجزيرة، 2014ب). وفي الوقت نفسه، أنهى حلفاء عدّة للقاعدة صلاتهم بها وأعلنوا الولاء للدولة الإسلامية: أعلن قسم من القاعدة في شبه الجزيرة العربية بقيادة الشيخ مأمون حاتم الولاء علنًا للدولة الإسلامية، وكانت الجماعة الجهادية الأفغانية (الحزب الإسلامي) احتلت المرتبة الثانية في تأييد الدولة الإسلامية،

ومن ثم أقامت أنصار بيت المقدس؛ جماعة جهادية مصرية، صلات مع الدولة الإسلامية، وبايع جهاديون ليبيون تجمَّعوا تحت راية (أنصار الشريعة) في ليبيا الدولة الإسلامية أيضًا (برغر، 2014م). إذن توسِّع الدولة الإسلامية شبكة حلفائها ومؤيديها أكثر فأكثر، وتمثِّل تحدِّيًا مباشرًا للقاعدة وقيادة الظواهري.

وخارج تيار التنظيمات الجهادية، كان كثير من علماء الدين السنَّة قد شجبوا الدولة الإسلامية. يرى يوسف القرضاوي؛ الزعيم السنِّي المصري المقيم في قطر، إعلان الخلافة على أنه خرق للشريعة الإسلامية، وعبَّر عن رأيه في أن الإعلان خطوة غير صحيحة تهدف إلى الإضرار بقضية السنَّة في العراق وسوريا، ووصف القائد السلفي الأردني أبو محمد المقدسي جماعة الدولة الإسلامية بأنها (ضالَّة)؛ مجموعة خرجت لتشوِّه صورة الإسلام (الجزيرة، 2014س). وبعث شيوخ وباحثون مسلمون من مناطق مختلفة في العالم، ومنهم مفتي الديار المصرية الشيخ شوقي علام، ومفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد أحمد حسين، رسالة مفتوحة إلى البغدادي في أواخر أيلول، واتهموا- بنحو صريح- الدولة الإسلامية بأنها غير إسلامية. (هفينغتون بوست، 2014ب).

إذا وضعنا أزمة الشرعية السياسية جانبًا، نجد على المستوى العملي أن هناك ندرة معلومات عن البنى والعمليات السياسية للدولة الإسلامية، ولا توجد أي معلومات تقريبًا عن التنظيم الإداري والمؤسسات السياسية التي بنتها الدولة الإسلامية لإدارة شؤون الدولة. وعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية ليست دولة بمعيار ويستفاليا، فإنها لا تستطيع تجنُّب بناء قدرات في مجالات جبي الضرائب، وإدارة العدل، والحكم في النزاعات، وضمان الأمن لثمانية ملايين شخص يعيشون في إقليمها، بإرادتهم أو رغمًا عنهم. ولا تقدِّم دابق؛ المنشور الرسمي للدولة الإسلامية، قصصًا شاملة عن هذه القضايا المهمة؛

وعلى الرغم من أن هناك إشارات متفرِّقة إلى قضايا إدارية وأمنية على مستوى المجلس العشيري المحلي. ويقدّم العدد رقم واحد من دابق (الصفحة 13)، وبعد الإشارة إلى لقاء مع ممثلي عشائر في منطقة حلب في سوريا، تقريرًا عن الإعانات والخدمات التي تقدِّمها الدولة الإسلامية لشعبها[2]. تتضمَّن هذه إعادة حقوق الملكية إلى مالكيها الشرعيين، وإنفاق أموال لتزويد الناس بالخدمات المطلوبة، والترويج للأمن الذي يتمتع به الناس في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وضمان الأمن الغذائي للشعب، والتشدُّد في مكافحة الجرائم، والترويج للعلاقات بين الدولة الإسلامية وشعبها.

واضح أن الدولة الإسلامية فاعلة على مستوى القواعد الشعبية والمجتمع للاهتمام باحتياجات الناس وخدماتهم في المناطق الخاضعة لسيطرتها، لكن يبدو أن قضايا أكثر تعقيدًا مثل الإدارة النقدية، والنظام القضائي، وتنظيم الإدارة، وبناء مؤسسات الدولة... إلخ، تبقى خارج نطاق البحث، ويعني الافتقار إلى بناء قدرة الدولة في المجالات كلها تحدِّيًا خطيرًا لإمكانية الاستمرار السياسية للدولة الإسلامية.

## إمكانية الاستمرار العسكرية

إذا كانت إمكانية الاستمرار السياسية للدولة الإسلامية مبهمة، فإن بقاءها العسكري مضمون تقريبًا، بوجود نحو (30,000) مقاتل صلب متمرِّس في المعارك، وكميات ضخمة من الأسلحة المتطورة المستولى عليها من الجيشين العراقي والسوري، تثبت الدولة الإسلامية حتى الآن أنها لا تُقهر عسكريًّا، وتؤكد سيطرتها المحكمة على كوباني؛ بلدة كردية على الحدود السورية التركية، وعلى الرغم من الغارات الجوية التي لا تحصى للحد من تقدُّم مقاتلي الدولة الإسلامية، صحة هذا الأمر. في محافظة الأنبار العراقية، يقال إن

مقاتلي الدولة الإسلامية قد أحرزوا عددًا من الانتصارات العسكرية بين 1-7 تشرين الأول، وينقل موقع مدوَّنة معهد دراسات الحرب تقارير عن أن معظم الأراضي من القائم على الحدود السورية إلى (أبو غريب)؛ بلدة قريبة من مطار بغداد الدولي، باتت تحت سيطرة مقاتلي الدولة الإسلامية الآن، وتفرض هذه المكاسب الحاسمة تهديدات جدِّية على خطوط إمداد وتعزيزات الجيش العراقي في الأنبار. (سكوايرز وبتروساين، 2014).

وخلف التقدُّم العسكري الجريء للدولة الإسلامية، هناك عاملان رئيسان مهمان؛ الحماس الجهادي لمقاتلي الدولة الإسلامية، والخلل الذي تعانيه إستراتيجية الولايات المتحدة لمواجهة التنظيم. ومقاتلو الدولة الإسلامية جسورون، ومتحفِّزون- وفقًا لمعتقدهم- بدافع ديني للقتال وهزيمة الكفَّار أعداء الإسلام، وهم مستعدون للقتال والموت حتى تصبح الدولة الإسلامية حقيقة في العالم. ويشير العدد الثاني من مجلتهم دابق إلى قصة سفينة نوح [عليه السلام]، التي صنعها بإيحاء من الله لتفادي الفيضان العظيم الذي ابتلع الكافرين، وبناءً على هذه القصة، فقد طوَّرت الدولة الإسلامية شعارها العملياتي: «إما الدولة الإسلامية أو الطوفان». ويأتي حافز آخر لمعنويات مقاتلي الدولة الإسلامية من الانتصارات العسكرية التي لا تُصدَّق للجيوش الإسلامية ضد الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في الحقبة الباكرة من عهد الإسلام، التي يشير إليها غالبًا (مركز الحياة الإعلامي) وموقعه الإلكتروني التابعان للتنظيم. وفي معركة القادسية، التي جرت في عام 636م، ألحق الجيش العربي المكوَّن من (30,000) رجل هزيمة نكراء بالجيش الفارسي المكوَّن من (200,000) مقاتل. وتعزِّز مثل هذه القصص الشجاعة منقطعة النظير لمقاتلي الدولة الإسلامية في مواجهة أعدائهم.

وتتفوق الروح المعنوية لمقاتلي الدولة الإسلامية على معنويات الجيشين العراقي والسوري ومؤيديهما - إيران والتحالف بقيادة الولايات المتحدة، وعلى الرغم من تورُّط إيران الكبير في القتال ضد الدولة الإسلامية، فإن إستراتيجية الرئيس أوباما الثنائية المتمثِّلة بالعمليات الجوية وتسليح خصوم الدولة الإسلامية، وفقًا لنقاد، ستفشل في تحقيق النتائج المرغوب فيها، وفي خطابه إلى الأمة الأمريكية في 10 أيلول من عام 2014م، حدَّد أوباما الدولة الإسلامية بوصفها تشكل تهديدًا لإقليم الشرق الأوسط، وربط ذلك التهديد بالأمن بالقومي. أكَّد[3]: «إذا تُركوا هكذا، فقد يفرض هؤلاء الإرهابيون تهديدًا متزايدًا خارج ذلك الإقليم بما في ذلك الولايات المتحدة».

والسؤال الحاسم هو عن مدى واقعية إستراتيجية حملة الرئيس الجوية ضد الدولة الإسلامية، قد يكون أوباما تشجَّع بنجاح حملة الناتو الجوية الإستراتيجية التي استمرَّت (78) يومًا ضد القوات الصربية في حرب كوسوفو عام 1999م، أو العمليات الجوية طويلة الأمد لخلع حكومة معمّر القذافي في عام 2011م، لكن الدولة الإسلامية عدو مختلف بمعيار مهارات القتال والشراسة في ساحة المعركة وامتلاك أسلحة حديثة. لقد رأى مقاتلو الدولة الإسلامية أيضًا عدم قدرة سلاح الجو الإسرائيلي في القضاء على أفراد وقدرات حماس العسكرية في الحرب الأخيرة على غزة التي اندلعت في شهري تموز وآب الماضيين. وفشلت عمليات إسرائيل الجوية ضد حماس، في العملية المسمّاة (عملية الجرف الصامد)، بوضوح في تدمير قوة القدرات العسكرية لحماس في غزة؛ منطقة طولها (41) ميلًا وعرضها (8) أميال (هاس، 2014م). وعلى العكس، ازدادت شعبية حماس بعد الحرب، وقد تنبثق أكثر قوة في المستقبل.

لقد ألقى مسؤولو دفاع وأمن أمريكيون حاليون وسابقون ظلالًا من الشك بشأن نجاح إستراتيجية أوباما المضادة للدولة الإسلامية، وقال روبرت غيتس؛

وزير دفاع سابق، في برنامج هذا الأسبوع على محطة إيه بي سي التلفازية في منتصف أيلول، إن غاية الرئيس في (إضعاف وتدمير) الدولة الإسلامية هدف طموح جدًّا، وهو يظن أن «هدفًا واقعيًّا يجب أن يكون محاولة طردهم من العراق وحرمانهم من موطئ قدم دائم في أي مكان» (تلفاز الصحافة، 2014أ). وأدى انعدام فاعلية الغارات الجوية على مقاتلي الدولة الإسلامية ومرافقها العسكرية إلى إقرار أوباما بأن مسؤولي الاستخبارات الأمريكية قلَّلوا من شأن التنظيم، وبالغوا في تقدير قدرة قوات الدفاع العراقية على هزيمة مقاتليه (فوكس نيوز، 2014م). وإضافة إلى هذا، لم تبدأ خطة أوباما لتدريب القوات السورية المعتدلة وتسليحها لمحاربة مقاتلي الدولة الإسلامية حتى الآن، وقد نشرت وكالة فرانس برس في بداية أيلول (2014م) قصة إخبارية تقول: إن الدولة الإسلامية قد وقَّعت اتفاق (عدم اعتداء) مع ثوار معتدلين وإسلاميين يقضي بألا يهاجم بعضهم بعضًا حتى إسقاط حكم بشار الأسد، ويقوّض هذا ببساطة احتمال نجاح إستراتيجية أوباما المضادة للدولة الإسلامية.

وفي تحليل واقعي، تتضمن العوامل الحاسمة التي تقوِّض نجاح إستراتيجية أوباما الحالية المضادة للدولة الإسلامية عدم رغبة الرئيس إرسال قوات برِّية ضرورية لطرد مقاتلي التنظيم واستعادة الأراضي التي احتلوها، وتردد الحلفاء في إنزال جنود على الأرض لتجنُّب حملة عسكرية من قبل الدولة الإسلامية عليها، ولتفادي قدرة التنظيم على تحويل أوضاع صعبة لمصلحته، وفي ظل غياب إستراتيجية عسكرية جديرة بالثقة تتضمن عمليات برية وجوية، ستوسِّع الدولة الإسلامية على الأرجح مسيرتها العسكرية وتحقق مزيدًا من الانتصارات.

اقتصاديًّا، يبدو أن الدولة الإسلامية تستقر في منطقة مريحة، ويُظنُّ أنها تسيطر على أصول تبلغ قيمتها ملياري دولار، ولديها احتياطيات نقدية ضخمة تتكدَّس أساسًا من عائدات نفطية في العراق وسوريا (سي إن بي سي، 2014ب). وحاليًّا، تسيطر الدولة الإسلامية على ثمانية حقول نفط وغاز في شرقي سوريا تنتج بين (300,000) و(700,000) برميل من النفط يوميًّا، وتبيع الدولة الإسلامية النفط الثقيل بسعر منخفض جدًّا يبلغ (26) دولارًا إلى (35) للبرميل إلى رجال أعمال عراقيين ولبنانيين وأتراك (وول ستريت جورنال، 2014بي). وفي الأراضي العراقية الخاضعة لسيطرة الدولة الإسلامية، الصورة هي نفسها أيضًا، فقد انتهت حرب تموز الخاطفة بالاستيلاء على سبعة حقول نفط عراقية، تبلغ طاقتها الإنتاجية (80,000) برميل من النفط يوميًّا، تستفيد منها الدولة الإسلامية، ويصل الدخل اليومي المقدر من حقول النفط هذه إلى ثمانية ملايين وأربع مئة ألف دولار يوميًّا، إضافة إلى هذا تسيطر الدولة الإسلامية على صوامع الغلال الحكومية في شمال وشمال غرب العراق - حزام إنتاج القمح في البلاد (تلفاز الصحافة، 2014ب).

المضامين واضحة، إذ تمتلك الدولة الإسلامية اقتصادًا مستدامًا تحت تصرفها لمقاومة ضغوط العقوبات الاقتصادية العالمية، وسيمنحها ذلك على الأرجح فرصة تمويل عملياتها العسكرية المتواصلة وكسب تأييد ثمانية ملايين عراقي وسوري بعدم فرض ضرائب كثيرة عليهم، وقد تقدِّم الدولة الإسلامية أيضًا خدمات اجتماعية وأمنية عالية الجودة للناس من أجل أن تروِّج لصورتها وتمنع أي معارضة أو تمرّد داخلي، ويؤدي توفير الأمن الغذائي الذي تنعم به الدولة الإسلامية إلى ضمان استقرار النظام الاجتماعي، على الأقل في الوقت الراهن.

# خاتمة

يُبرِز النقاش والتحليل في هذا المقال القصير ثلاث نقاط مهمة:

1- الدولة الإسلامية هي نتاج عوامل معقدة تتراوح من حركات إسلامية سياسية لإحياء الخلافة، إلى سياسات محلية ودولية معاصرة في العراق والشرق الأوسط.

2- في الشهور القليلة الماضية، انبثقت الدولة الإسلامية قوية، وهي حقيقة قائمة على أراضٍ سيطرت عليها في العراق وسوريا، وقد يؤدي فشل التحالف بقيادة الولايات المتحدة ودول إقليمية في إضعاف الدولة الإسلامية إضعافًا جوهريًّا إلى وضع مزيد من الأراضي تحت سيطرة التنظيم.

3- تعمل الدولة الإسلامية من قاعدة عسكرية واقتصادية قوية تضمن كما هو واضح استمرارها على أساس طويل الأمد، على الرغم من أنها يجب أن تتعامل مع تحديات لاستمرارها السياسي، وتعني الديمومة طويلة الأمد للدولة الإسلامية شرقًا أوسط جديدًا؛ شرقًا أوسط بحدود دول قد أُعيد رسمها.

**ملاحظات**

1. انظر العدد الأول من دابق، المجلة الرسمية للدولة الإسلامية، نُشرت في شهر رمضان 1435 من الهجرة، على: https://ia902500.us.archive.org/24/items/dbq01___desktop___en/pdf/dbq01end، اطلاع 5 تشرين الأول 2014م.
2. انظر دابق، العدد رقم 2، https://azelin.files.wordpress.com/2014/07/islamic_state_e2809cdc481biq_magazine_2e280b3.pdf، 4 تشرين الأول 2014م.
3. يمكن الحصول على نسخة من خطاب الرئيس أوباما على الشبكة العنكبوتية على الرابط: http://www.npr.org/2014/09/10/347515100/transcript_president_obama_on_how_u_s_will_address_islamic_state، 10 أيلول 2014.

| المراجع | الرابط الإلكتروني |
| --- | --- |
| وكالة فرانس برس (2014م)، **ثوّار سوريا، والدولة الإسلامية في اتفاق عدم اعتداء قرب دمشق**، 12 أيلول. | http://www.globalpost.com/dispatch/news/afp/140912/syria |
| الجزيرة (2014ب)، **رؤية البغدادي لخلافة جديدة**، 1 تموز. | http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2014/07/islamic-state-caliph-lauds-iraq-rebellion-20147512574517772.html |
| الجزيرة (2014س)، **خليفة الدولة الإسلامية يثني على الثورة العراقية**، (أشرت إلى الرابط آنفًا). | http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2014/07/baghdadi-vision-new-caliphate-20147184858247981.html |
| بي بي سي نيوز (2014أ)، **ما الدولة الإسلامية؟**، 26 أيلول. | http://www.bbc.com/news/world |
| بي بي سي نيوز (2014ب)، **تضاعف تقدير مقاتلي الدولة الإسلامية ثلاث مرات** ـ وكالة الاستخبارات المركزية، 12 أيلول. | http://www.bbc.com/news/world |
| ج. م. برغر (2014م)، **الدولة الإسلامية مقارنة بالقاعدة**، Foreign Policy، 2 أيلول. | http://www.foreignpolicy.com/articles/2014/09/02/islamic_state_vs_al_qaeda_next_jihadi_super_power |
| ك. برانين (2014م)، **عملاء طهران على الأرض**، Foreign Policy، 10 أيلول. | http://complex.foreignpolicy.com/posts/2014/09/10/tehrans_boots_on_the_ground_iraq_syria_islamic_state_isis_iran |
| سي إن بي سي (2014أ)، **إيران تسعى إلى أخذ وعطاء بشأن الميليشيات، وبرنامجها النووي**، 21 أيلول 2014م. | http://www.cnbc.com/id/102019065 |
| سي إن بي سي (2014ب)، **كيف استطاعت الدولة الإسلامية كسب (2 مليارًا) من الأصول**، 16 حزيران. | http://www.cnbc.com/id/101761986 |

| المراجع | الرابط الإلكتروني |
| --- | --- |
| فوكس نيوز (2014م)، **أوباما يقول إن الولايات المتحدة أخطأت تقدير نهوض داعش**، ويقر بـ(التناقض) بشأن السياسة تجاه سوريا، 29 أيلول. | http://www.foxnews.com/politics/2014/09/29/us |
| م. ك. هاس (2014م)، **عملية الجرف الصامد الإسرائيلية**: عرض لحدود الضربات الدقيقة، The National Interest، 1 آب، على الشبكة العنكبوتية الموقع الإلكتروني: | http://nationalinterest.org/feature/israel |
| ب. كايا أوغلو (2014م)، **خمس بديهيات نتذكرها عن داعش والعراق**، The National Interest، 25 حزيران. | http://nationalinterest.org/feature/five |
| تلفاز برس (2014أ)، **بوابات: خطة أوباما للدولة الإسلامية في العراق والمشرق ليست واقعية**، 21 أيلول. | http://www.presstv.com/detail/2014/09/21/379544/gates |
| تلفاز برس (2014ب)، **لا توجد مقارنة بين الدولة الإسلامية في العراق والمشرق وفيت كونغ**: دون ديبار، 21 أيلول. | http://www.presstv.ir/detail/2014/09/21/379452/isil |
| رويترز (2014م)، **عقول تركّز عليها الدولة الإسلامية، والسعوديون والإيرانيون يفكّرون في المعالجة**، 22 أيلول 2014م. | http://news.yahoo.com/iran-foreign-minister-hails-chapter-saudi-ties-irna-084551733.html |
| ل. سكوايرز ون بتروساين، (2014م)، **تقدُّم داعش في الأنبار** (1 أيلول ـ 7 تشرين الأول)، 8 تشرين الأول. | http://iswiraq.blogspot.com/2014/10/isis-advances-in-anbar-september-1.html?utm_source=ISIS+Advances+in+Anbar+%28September+1-October+7%2C+2014%29&utm_campaign=ISW+New+Iraq+update&utm_medium=email |
| The Huffington Post (2014أ)، **الأمم المتحدة تفرض عقوبات على الاقتصاد الأسود للدولة الإسلامية في العراق والمشرق**، 23 آب 2014م. | http://www.huffingtonpost.com/luay-al-khatteeb/the-un-strikes-back-at-isil_b_5702240.html |

| المراجع | الرابط الإلكتروني |
| --- | --- |
| The Huffington Post (2014ب)، **شيوخ مسلمون يبعثون رسالة مفتوحة إلى الدولة الإسلامية ينتقدون فيها بدقة إيديولوجيتها**، 24 أيلول. | http://www.huffingtonpost.com/2014/09/24/muslim-scholars-islamic-state_n_5878038.html |
| The Wall Street Journal (2014أ)، **الولايات المتحدة تهدف إلى إضعاف وتدمير الميليشيات**، 3 أيلول. | http://online.wsj.com/articles/obama |
| The Wall Street Journal (2014ب)، إدارة **اقتصاد الدولة الإسلامية بالابتزاز، وقرصنة** النفط في سوريا والعراق، 28 آب. | http://online.wsj.com/articles/islamic |

- س. أكبر زادة، (2012م)، **كتيب روتليدج عن الإسلام السياسي** (لندن: تايلور وفرانسيس).
- الجزيرة (2014أ)، خليفة، **الدولة الإسلامية يثني على الثورة العراقية**، 6 تموز.
- ف. ناصر (2007م)، **إحياء الشيعة**: كيف ستكون نزاعات ضمن الإسلام المستقبلَ (نيويورك: دبليو. دبليو. نورتون وشركاه، طبعة جديدة).
- أ. فيليبس (2014م)، **تحدّي الدولة الإسلامية النظامَ الدولي**، Australian Journal of International Affairs، المجلد 68، العدد 5، الصفحات 495-498.